الإصلاح التربوي من وجهة نظر معلمي الطور الثانوي

(دراسة ميدانية بمدينة قسنطينة)

د.بوسنة عبد الوافي زهير

قسم علم النفس– جامعة بسكرة

الملخص:

مافتئت المدرسة الجزائرية تلعب دورا هاما في إعداد النشء، تربيته وتعليمه وتكوينه كي يكون سند هذه الأمة.

لكن الملاحظ أن دور المدرسة اختل نوعا ما، نظرا لعدة عوامل منها الداخلية والخارجية. وهذا ما دفع بالمختصين في مجال التربية إلى محاولة لم شمل المدرسة من جديد، من خلال إصلاح تربوي شامل يمس البرامج والنظم التربوية، بالتالي إعادة هيكلة هذه النواة الحساسة.

يأتي هذا المقال لإلقاء الضوء على حقيقة الإصلاح التربوي في الجزائر من خلال الأساتذة الناشطين في الحقل التربوي.

Résumé :

Nul ne peut nier le rôle qu'a joué l'école algérienne ,afin d'éduquer, enseigner et former des cadres pour la société.

Mais les fonctions de l'école ont changé à cause de plusieurs facteurs qui ont pu la déstabilisé. Cela a poussé les spécialistes de l'éducation à élaborer un programme d'urgence dans le but de restructurer l'école.

La reforme dans le milieu de l'éducation a touché les programmes d'enseignement, et le volume horaire.

Cet article se propose de démontrer l'avis des enseignants du secondaire en ce qui concerne cette reforme, ses avantages et ses inconvénients

.

مقدمة:

وجدت المدرسة الجزائرية مند الأمد البعيد، تسعى لتحقيق غاياتها النبيلة، ومسايرة ركب الحضارة الحديثة، فالمدرسة من أهم قنوات التنشئة الاجتماعية التي تلعب دورها في بلورة شخصية الطفل وإعداده لخوض تجارب الحياة، حيث ما فتئت المدرسة الجزائرية تكون رجالا ونساءا، قادة وأمهات خلدوا أسمائهم في التاريخ.

لقد خرجت المدرسة الجزائرية من قوقعتها وسباتها، ونلك بانتهاجها لبرامج إصلاح تربوية ترمي من خلالها إلى مجاراة العولمة ومظاهرها وكذا مجاراة المد العلمي والتكنولوجي الخارجي. لعل استحداث الإصلاح التربوي مند سنوات قليلة خلت، جعلنا نتساءل عن فحوى هذا الإصلاح ومخلفاته الميدانية من سلبيات وايجابيات.

لقد تحتم الأمر على المختصين في مجال التربية الرجوع إلى هذا الإصلاح رغبة منهم في الخروج من دائرة المدرسة التقليدية بالتالي الاضطلاع إلى كل ما هو جديد.

إن هذه المداخلة عبارة عن ثمار عمل ميداني اتخذ المقابلات كأداة لبلوغ الأهداف المرجوة، هذه الأخيرة تتمثل في معرفة آراء المعلمين في الطور الثانوي حول الإصلاح التربوي، ما هي معيقاته؟ وما هي آثاره على البرامج التربوية؟

1 -مفهوم النظام التربوي:

النظام التربوي هو مجموعة القواعد والتنظيمات والإجراءات التي تتبعها دولة ما في تنظيم وتسيير شؤون التربية والتعليم، وذلك في جميع الجوانب والنظم التربوية بصفة عامة. والمدرسة هي المؤسسة التربوية المختصة التي يعتمد عليها المجتمع في نقل مهاراته وعاداته وقيمه معارفه من جيل لآخر. إنها ثان وسط يعيش فيه الطفل ويتفاعل معه بعد البيت [01].

وتعتبر المدرسة مكان اكتساب المعارف وتطوير المهارات والقدرات التي تسمح بفهم مختلف الظواهر، فيها يكون التلميذ محور مرافقة من طرف المعلم لوقت محدود.[02] ويمكن القول أن النظام التربوي هو محصلة عدة عناصر ومكونات علمية وسياسية واجتماعية واقتصادية و إدارية محلية و إقليمية و عالمية تسعى إلى التنمية البشرية وإعداد الفرد للحياة. وفي الجزائر لا يختلف الأمر عن غيره من الأنظمة التعليمية في العالم، فهي تتشابه في المنطلقات والأبعاد من حيث المفهوم العام، لأنها كلها تسعى إلى التنمية البشرية وإعداد الفرد للحياة، ولا يميزها سوى

التوجهات الخصوصية في النمط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع.

كما يكمن في المرجعية التي هي مصدر فلسفته وتشريعاته وفي برامج حكوماته التي تحدد أهدافه. إن النظام التربوي قرار سياسي بالدرجة الأولى، وجزء من مطالب السيادة الوطنية يبرز في غايات الدولة وحاجات المواطنين ومطالب التنمية الشاملة. وهو في الجزائر عبارة عن تشكيلة لجهاز إداري تنظمه علاقات قانونية واجتماعية ودوافع تربوية ثقافية مؤطرة سياسيا واقتصاديا، ولقد تأثر بعدة تيارات أهمها وأخطرها تيار الفكرالتغريبي الكولونيالي الذي سعى على مدى 132 عاما إلى محو الشخصية الجزائرية.

2 -**مهام النظام التربوي:**

تتمثل مهام النظام التربوي في:

– تنمية شخصية الأطفال والمواطنين وإعدادهم للعمل والحياة، فالطفل ينتقل إلى المدرسة في حوالي 6 سنوات ويكون قد تعلم من الأسرة الكثير من العادات والقيم. وفي المدرسة يدرك ماله من حقوق وما عليه من واجبات، نتيجة احتكاكه بالوسط المدرسي المكون من معلم وزملاء وإدارة [(03)].

– اكتساب المعارف العامة العلمية والتكنولوجية.

– الاستجابة إلى التطلعات الشعبية إلى العدالة والقيم.

– تنشئة الأجيال على حب الوطن، وذلك بالرجوع إلى الدور المهم الذي تلعبه المدرسة، هذه الأخيرة تعد تلك المنظمة الرسمية التي أوكل إليها مهمة تربية النشء وتعليمه بشكل نظامي مقصود وفقا لنظم معينة.

فالمدرسة هي حلقة وسط بين الأسرة بنطاقها الضيق والحياة الاجتماعية بزخمها ونطاقها الواسع الممتد.[(04)]

– تلقين النشء مبدأ العدالة والمساواة بين المواطنين والشعوب، وإعدادهم لمكافحة كل شكل من أشكال التفرقة والتمييز.

– منح تربية تساعد على التفاهم والتعاون بين الشعوب، وصيانة السلام في العالم على أساس احترام سيادة الأمم.

– تنمية تربية تتجاوب مع حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

يمكن لهذه الأهداف أن تتحقق إذا ما أدت المدرسة الأدوار المنوطة بها، فبالتحاق الطفل بها تتاح له فرصا أكثر وبيئة اجتماعية أكثر اتساعا للتفاعل الاجتماعي الذي يكتسب بفضله العواطف والعادات الانفعالية، وينمي الشعور بتحمل المسؤولية والضبط الاجتماعي، وكذا القدرة على التقويم الذاتي [05].

3– عوائق المنظومة التربوية:

إن النظام التربوي في أي بلد كان يعكس طموحات مجتمعه ويكرس اختيارات شعبه الثقافية والسياسية والاجتماعية، ويحاول أن يوجد النظام الملائم لتنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية سليمة.

كل هذا يتوقف على المربي بدرجة أولى، باعتباره حلقة من الحلقات الأساسية في النظام التربوي و هو العنصر الحي فيها. فثقافة ووعي المعلم وتكوينه الجاد وحرصه على مسايرة التطورات الحديثة الحاصلة في ميدان التربية والتعليم، عامل أساسي ومهم في نجاح المنظومة التربوية. ذلك لأن ضعف التكوين في الجانب النفسي والبيداغوجي لدى المربي، يجعله غير قادر على مسايرة الأحداث الطارئة في المجال التربوي لغياب الوعي التربوي.

فاضطراب العلاقة بين التلميذ ومدرسيو وزملائه، قد يدفعه إلى إهمال دروسه والتغيب عن المدرسة، وهو ما ذهب إليه صلاح الدين علام في قوله: " إن لم يكن الجو المدرسي مشجعا للتلميذ، فقد يؤدي ذلك إلى استهتاره ولعبه، وعدم اهتمامه بمتابعة الدراسة والهروب منها، بالإضافة إلى تأثير رفاق السوء [06].

وهذا ما يؤدي إلى فشل المنظومة التربوية في تطبيق برامجها ونظامها المتطور. كما أن للأسرة والمجتمع دور كبير في نجاح المنظومة التربوية، فالمتعلم في مختلف الأطوار التعليمية يقضي أوقات أو أعمارا محدودة ومعينة في المؤسسات التعليمية . والمربي يقف مشدوها أمام تخلي الأولياء عن متابعة دراسة أبنائهم

وتشجيعهم ومد الأمل للمربي ، ناهيك عن المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المتعلم من الفقر والخلافات الأسرية و... وهذا العائق الآخر الذي يقف أمام نجاح المنظومة التربوية. فالمسكن مثلا يعد أحد العوامل المؤثرة، حيث بينت الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن الطفل الذي يعيش في بيت واسع بإمكانه مراجعة دروسه، عكس الذي يعيش في بيت ضيق. ويؤكد جاكار أن الوسط المنزلي الذي يوجد فيه أبناء الفئة الغنية، يسير في اتجاه الاهتمامات المدرسية بينما العكس يلاحظ عند الفئة الفقير [07]. بالإضافة إلى ذلك، تفتقر المدرسة إلى الكثير من التحسينات ناهيك عن الكماليات من قلة النظافة وسوء التسيير وتوفير التجهيزات والوسائل العلمية الحديثة.

ففي بعض المناطق من القطر الجزائري، تعاني المؤسسات التعليمية من عدم توفير المياه والكهرباء والمواصلات. فإذا كانت المدرسة لا تتوفر على أدنى شروط الحياة، فكيف نستطيع تطبيق هذه البرامج التربوي.

4- الإصلاح التربوي:

يعرف البرنامج التعليمي كمجموعة عمليات مدمجة منظمة تسعي لتحقيق أهداف موضوعة مسبقا [08].

يستجيب الإصلاح لضرورات تطور المجتمع، وهو لا يتم في يوم واحد، إذ يتوجب على الفاعلين من مفتشين ومديرين ومعلمين أن يتملكوا الإصلاح. لجعل هذا التغيير ممكن في المدرسة هناك مراحل رئيسية:

- المرحلة الأولى "**التحسيس والإعلام**": هل أقبل الحديث عن كيفيات أخرى للعمل؟
- المرحلة الثانية "**تغيير التمثلات**": هل أطور طريقتي في التفكير؟ انه الدور الرئيسي للتكوين. فلا يمكن الحديث عن انطلاق الإصلاح إلا انطلاقا من تلك الحالة، إذ لا يتقبل المرء أمرا إلا إذا فهم كنهه.
- المرحلة الثالثة " **تغيير الممارسات**" هل أكيف عملية التدريس في القسم في نهاية المطاف؟

إن الإصلاح التربوي للمدرسة الجزائرية يفرض نفسه نظرا للتحديات التي تواجهها المدرسة سواء أكانت داخلية أو خارجية

– **التحديات الداخلية:** يجب على النظام التربوي أن يرفع ثلاث تحديات داخلية.

ففي المقام الأول يجب أن تترجم في المدرسة، التغيرات المؤسساتية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي حصلت في الجزائر خلال السنوات الأخيرة، وذلك بجعل المدرسة تقوم أحسن قيام، بإيصال قيم التسامح والحوار وتحضر التلاميذ لممارسة مواطنتهم في مجتمع ديمقراطي. بالأمر يتعلق بتحسين وجاهة التعليم أمام حاجيات المجتمع الجزائري الحالي.

في المقام الثاني، يتعين على المدرسة الاضطلاع الجيد بوظيفتها في التربية والتنشئة الاجتماعية والتأهيل. بمعنى آخر، رفع نوعية النظام التربوي أي فعاليته الداخلية.

في المقام الأخير، يجب عليها مواصلة تطبيق ديمقراطية التعليم، أي جعله في متناول أكبر عدد ممكن من التلاميذ، وضمان حظوظ متساوية في النجاح لكل تلميذ. بعبارة أخرى، زيادة الإنصاف في النظام التربوي.

– **التحديات الخارجية:** نقصد بذلك تحدي العولمة الاقتصادية التي تتطلب كفاءات عالية آخذة في التزايد ومتلائمة أكثر فأكثر مع متطلبات حركية المهنة.

كذلك تحدي المعلوماتية، أي اللجوء في آن واحد إلى تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجيدة، من اجل التحصيل المدرسي.

تتمثل هذه التحديات في رفع الفعالية الخارجية للنظام التربوي، أي في جعله أكثر استعدادا للاستجابة لمقتضيات تنمية البلاد الاقتصادية والاجتماعية ضمن البيئة العالمية [09].

5– الدراسة الميدانية:

5–1 الهدف:

ترمي هذه الدراسة الميدانية إلى معرفة ردود فعل المعلمين إزاء الإصلاح التربوي الذي اعتمدته وزارة التربية الوطنية. واختيار المعلم بالذات لم يكن صدفة، بل لأنه

يعتبر فاعل أساسي في العملية التربوية، ونجاح الإصلاح التربوي لن يكون إلا بالرجوع إلى المعلم وتحيين تكوينه وجعله يواكب التطورات الجديدة سواء أكانت داخلية أو خارجية.

يسعى هذا العمل الميداني من خلال دراسة حالة مست معلمين اثنين، إلى رصد حقيقة الواقع التربوي بعد بداية الإصلاح التربوي، وما هو جديد المدرسة الجزائرية؟ وكيف تعامل الفاعلون في الحقل التربوي من معلم وتلميذ وإدارة مع الإصلاح؟ وما هي المشكلات التي تعيق الإصلاح التربوي في الجزائر والتي لا تجعله يحقق الأهداف المرسومة من طرف القائمين على قطاع التربية؟

2-5 الوسائل:

للوصول إلى المبتغى من هذا العمل الميداني، اخترنا منهج دراسة الحالة، هذه الأخيرة مدججة بمجموعة من المقابلات النصف موجهة للمعلمين موضوع البحث.

لذلك تم اختيار معلمين اثنين، أحدهما في الطور المتوسط والآخر في الطور الثانوي، ينشطون في الحقل التربوي مند سنوات كثيرة.

تمحورت المقابلات على النحو التالي:

المحور الأول: مميزات الإصلاح التربوي في حد ذاته

وكانت الأسئلة الواردة في هذا المجال:

- متى بدأ الإصلاح التربوي في الجزائر؟
- ما معنى إصلاح المنظومة التربوية؟
- ما هي معلوماتكم حول الإصلاح التربوي؟
- كيف كانت بدايات الإصلاح التربوي؟
- ما تعليقكم على برامج الإصلاح التربوي؟
- كيف تعاملت الإدارة التي تنتمون إليها مع الإصلاح التربوي؟
- ما هو رد فعل أولياء التلاميذ على الإصلاح التربوي؟

المحور الثاني: معيقات المعلم في عملية الإصلاح التربوي

وكانت الأسئلة الواردة في هذا المجال:

-ماذا يحمله الإصلاح التربوي من جديد لممارساتكم التربوية؟

-هل يسمح لكم تكوينكم ولوج عالم الإصلاح التربوي؟

-ما هي المشاكل التي تعيقكم عن أداء مهامكم في ظل الإصلاح التربوي؟

-كيف أصبحت علاقاتكم مع الإدارة بعد الإصلاح التربوي؟

-هل التلميذ قادر على دخول عالم الإصلاح التربوي؟

5-3 حالات الدراسة:

الحالة الأولى: معلم يبلغ 58 سنة من العمر.

يدرس مادة الفيزياء.

خبرة 31 سنة في التعليم الثانوي.

الحالة الثانية: معلمة تبلغ 47 سنة من العمر.

تدرس مادة الاجتماعيات.

خبرة 24 سنة في التعليم الثانوي.

5-4 النتائج:

المحور الأول: الإصلاح التربوي في حد ذاته

- بداية الإصلاح التربوي كانت في أكتوبر 2007، على أساس أن البرامج القديمة لم
  تعد صالحة لذلك استحدثت طرق حديثة للتدريس، على رأسها ما يسمى المقاربة بالكفاءات بالإضافة إلى اعتماد برامج جديدة تتماشى والتحديات الداخلية والخارجية.
- جاء الإصلاح التربوي دفعة واحدة وبشكل مفاجئ، حيث لم تسبقه مرحلة تجريبية،
  بالتالي ترجمت البرامج من العربية إلى الفرنسية.
- البرامج الجديدة للإصلاح التربوي طويلة جدا ولا يمكن إنهائها في سنة واحدة، تتشكل

من 08 محاور ويصل المعلم في أقصى تقدير إلى المحور الخامس أو السادس، وهو ما يعادل
70بالمائة من البرنامج الدراسي.
لذلك أصبح هناك معلم يسرع وآخر يتكاسل، والتلميذ هو الضحية.

- يفرض الإصلاح التربوي أن تكون للتلميذ أرضية معلوماتية قبلية بصفته عنصر مهم
في العملية التربوية، هذه القاعدة تسمح بتحقيق أهداف الإصلاح التربوي. وهو الأمر الذي لا يتوفر في التلميذ.

المحور الثاني: معيقات المعلم لتحقيق أهداف الإصلاح

- نقص المستوى التكويني للمعلم وفق الطرق الحديثة، يجعله غير قادر على مواكبة الإصلاح التربوي.
- قلة المراجع الضرورية سواء أكانت علمية أو تربوية، والتي تساعد في إعداد الدروس بالإضافة إلى عدم تحكم المعلم في تقنيات استعمال الإعلام الآلي، ما يجعله يستهلك الوقت والجهد في عملية التحضير.
- غياب الوسائل العلمية والتكنولوجية الخاصة بالمخابر في الأعمال التطبيقية خاصة، لأن المخابر مجهزة وفق البرامج القديمة. كذلك نقص التحاليل الكيميائية في المخابر، والتي جهزت ببعض التحاليل في الآونة الأخيرة ولكنها تبقى غير كافية. وفي مقابل ذلك، نواجه نقص تكوين المعلم كعائق في استعمال هذه التحاليل الجديدة.
- مشكل الاكتظاظ في القسم، حيث يصل عدد التلاميذ إلى 43 تلميذ في القسم الواحد، وبمستويات متفاوتة 50بالمائة منهم ضعيف، 40بالمائة متوسط، 10بالمائة نخبة.
- إدارة بتكوين قديم وضعيف، لا تحوز على معلومات حول الإصلاح التربوي وتستعمل أساليب تعسفية ضد المعلمين. مما أدى إلى خلق مشاكل مع المعلمين

وتعكير الجو التربوي العام. حيث يقول المعلم أن الإدارة لا تعمل من أجل إنجاح الإصلاح التربوي.

– معظم أولياء التلاميذ، ليس لهم معلومات عن الإصلاح التربوي ودورهم شكلي فقط،حيث يقتصر على توزيع الجوائز في نهاية العام الدراسي.

5 5 الاقتراحات:

- تنظيم دورات تكوينية للمعلمين غرضها توضيح الإصلاح التربوي وأهميته، ينشطها مختصون في علوم التربية والديداكتيك. بالتالي الابتعاد عن التنظيم الشكلي للملتقيات والذي يتمحور في غالبيته على معلومات محدودة ومعروفة عند العام والخاص.

- تنظيم دورات تكوينية في مجال الإعلام الآلي للمعلمين، لان غالبيتهم يجد مشاكل في استعمال التكنولوجية الحديثة.

- إصلاح البرامج التربوية وجعلها تتماشى مع الوقت المحدد لها مع الحفاظ على تحقيق غاياتها.

- تجهيز المدارس ومخابرها بالأجهزة التكنولوجية الحديثة، وكذا التحاليل الكيميائية اللازمة للتطور الحاصل، وهو ما يساعد على الأداء الايجابي والبناء للمعلم.

-إعادة النظر في عدد التلاميذ في القسم الواحد، حيث يرى المعلم أنه لا يمكن الحديث إصلاح تربوي ولا على مقاربة بالكفاءات في ظل اكتظاظ الأقسام بـــ43 تلميذ في القسم الواحد.

– عقد دورات تكوينية للادرايين وعلى رأسهم المدرين والنظراء، تتمحور أساسا على التعامل مع المعلمين والتلاميذ والابتعاد على أساليب التهديد والوعيد، والرجوع الى المرونة في تطبيق القوانين.

– برمجت لقاءات مع أولياء التلاميذ، تهدف إلى التوعية و توضيح بعض المفاهيم الأساسية للإصلاح التربوي وأهدافه.

خاتمة:

مند أن نشأت المدرسة الجزائرية بعد الاستقلال، وهي تؤدي رسالتها النبيلة والتي تتمثل أساسا في تكوين الأجيال وإعدادهم للدفاع عن راية الوطن.

فالاهتمام بالطفل ورعايته من الجانب التربوي يستدعي إعداد برامج تربوية كفيلة بتكوين شخصيته وبلورتها، لأجل تحضير جيل يرعى مصالح الأمة.

لقد عكف القائمون على مجال التربية والتعليم في الجزائر على إعداد برامج جديدة، وغرضهم في ذلك إصلاح المنظومة التربوية حسبما تقتضيه التحولات الجديدة، كي تقدر المدرسة على مواكبة التحديات سواء أكانت داخلية أو خارجية.

فالإصلاح التربوي طرح مجموعة من البرامج والآليات الجديدة من أجل تطبيقها، واصطدمت هذه الأخيرة مع صعوبات حالت دون تحقيق الأهداف المرجوة في الواقع.

لعل تشخيص حالة المدرسة الجزائرية والإصلاح الذي مسها من خلال هذا العمل المتواضع، قد يسمح للمختصين تحديد موقع الداء ومحاولة إيجاد دواء له.

فالإصلاح التربوي الذي أقرته الوزارة، قد يكون له نتائج باهرة إذا ما تم إعداد الأرضية الصلبة التي تسمح لجميع الفاعلين في الحقل البيداغوجي بأداء أدوارهم على أكمل وجه.

الهوامش:

1- أحمد زكي صالح (1976): **الأسس النفسية للتعليم الأساسي**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص 46

2- Benbouzid.B (2009) : **La reforme de l'éducation en Algerie** Casbah Editions, Alger p 35

03-محمود عبد الحليم منسي (2002): **الصحة النفسية للطفل**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر ص 204

04-عبد المطلب أمين القريطي(1998): **الصحة النفسية**، دار الفكر العربي ط01، بيروت، لبنان ص 475

05-محمد ابراهيم سعفان (2001): **الإرشاد النفسي للطفل**، دار الكتاب الحديث، مصر ص 142

06-صلاح الدين علام (؟): **الخدمة الاجتماعية**، دار القومية للطباعة، ط03 ص 563

07-عبد الله عبد الدائم(1982): **التخطيط التربوي، أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته في البلاد العربية**، دار العلوم للملايين،بيروت ص 323

08- Benbouzid.B , Op-cit p 37

09-بن بوزيد بوبكر(2006): **المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية**، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر ص 09